

حوار بين سروش والشيخ السبحاني

سروش: إنَّ الوحي "إلهام" وهو التجربة التي يخوضها الشعراء والعرفاء وإن كان النبيَّ يخوضها بدرجة أرفع وأسمى وقد كان للنبي دورٌ محوري في خلق القرآن فالنبيَّ يحسُّ - مثل الشاعر تماماً - أنَّ قوة خارجية تستحوذ عليه ولكنَّه في الواقع يقوم بكل شيء ولو قرأتم القرآن تشعرُونَ أنَّ النبيَّ أحياناً يكون في قمة الجدل والفصاحة بينما في أحيان أخرى مفعماً بالملل وتجده عادياً في كلامه وجميع ذلك قد ترك تأثيره على النصِّ القرآني وهذه هي الناحية البشرية التامة من الوحي .

الشيخ السبحاني: أوَّلاً: إنَّ هذه النظرية ليست نظرية جديدة فهي نفس ما كان يقوله المشركون في مكة بشأن تفسيرهم لظاهرة القرآن حيث كانوا يقولون: كما يخلق إمرؤ القيس المعاني والألفاظ في ضوء الإلهام كذلك يصنع محمدٌ حيث يصوغ الألفاظ والمعاني والقرآن ينقل هذه النظرية عنهم وينتقدها قال تعالى: (وَيَقُولُونَ أَأَنْزَلْنَا لَكَ آيَاتٍ كُنُوزًا لِّشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ) [الصافات:36] وقال أيضاً: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّ شَاعِرَهُمْ يُدْعَرُ بِهٖ رَيْبٍ أَلَمْ نُنزِلْهُ بِالطُّورِ:30] وأحياناً يفسِّرون القرآن بأحد طرق ثلاثة تنتهي بأجمعها إلى غاية واحدة وهي أنَّ القرآن من بنات أفكار النبيَّ فيقولون حيناً: إنَّها أحلام ومنامات وتارة: إنه متقول على □ وتارة أخرى: إنَّه شاعر صاغ تصوراته في قالب القرآن قال تعالى: (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثٌ أَوْ حُلَامٌ بَلْ أفتتراهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْاَوَّلُونَ) [الأنبياء:5] وقال تعالى في نقده هذه الأقوال: (وَمَا هُوَ بِمَقْوَلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ) [الحاقة:41] وفي آية أخرى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) [يس:69] إذاً فقد صنف المشركون النبيَّ في عداد الشعراء وإنَّ النظرية التي نناقشها هنا ليست سوى صدىً لما كان يردده المشركون وإن كان قد عبَّر عنها بكلمات أسمى إلا أنَّ منشأ القولين واحد.

وإذا أعرضنا عن ذلك نتساءل عن دليل هذه النظرية؟ هل هناك شاهد عليها؟ للأسف فإنَّ هذا الحوار بأجمعه عبارة عن سلسلة من التصوُّرات والمفاهيم غير المدعومة بدليل يثبتها فلو كان القرآن في حقيقته مجرد خيال شعري وإنَّ كان على مستوى أعلى فما معنى تحدِّيه ولو بالإتيان بسورة واحدة مثله؟ فأَيُّ شاعر تحدَّى الآخرين طوال حياته الشعرية وأعجزهم أن يأتوا بمثل قصائده إلى يوم القيامة؟

ثانياً: صاحب هذه النظرية يرى أنَّ القرآن تجلٌّ لما يكمن في شخصية النبيِّ الأكرم صلى الله عليه

ليس سوى أداة وعدة وأين هذا من نزول القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وآله؟ أمّا التصوير الذي أحمله عن تلك الرابطة فهو رابطة النفس والجسد أو بعبارة أوضح: رابطة المزارع والشجرة فالمزارع يدفن البذرة في رحم الثرى والشجرة تعطي الثمرة وهذه الثمرة مدينة في كل ما تشتمل عليه من اللون والنكهة والطعم الى الشجرة التي أثمرتها وهذا كله يكون بإذن الله ولذلك فإنّ للنبي دوراً موضوعياً وليس طريقيّاً وهو بشرٌ نزل عليه القرآن وصدر عنوه هكذا يكون المعنى غير المصوّر من الله والصورة من محمد والنسخ من الله والمزمارة من محمد والماء من الله والوعاء من محمد.

والخلاصة إنّ حادثة الوحي المحمّدي إنّما حدثت في ظروف تاريخية ومادية خاصة وقد كان لتلك الظروف مدخلية تامة في تكوين الوحي ولعبت دور العلة الصورية والمادية للوحي وبالتالي فإنّ ما يأتي به محمد صلى الله عليه وآله هي محدوديته العلمية والوجودية والتاريخية وما إلى ذلك ممّا لا مفرّ لمخلوق منها.

الشيخ السبّاحي: لا بدّ من أن نذعن لتحكيم الوحي المحمّدي (القرآن) ليقضي بصحة هذا التفسير المقول عقلاً:

أولاً: إنّ القرآن يرفض هذه النظرية بشدة فهو لم يرَ موضوعية للنبي أبداً ولم يعتبر كلامه ثمرة لشجرة النبوة بل إنّ الوحي القرآني يقول: إنّ كل ما نزل من القرآن هو من زلال الوحي لم تؤثّر فيه أفكار النبي البشرية: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) [الشورى 7] (فُلٌّ إِزْمَامًا أَتَّيَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي) [الأعراف 203] فهذا هو القرآن يؤكد على أنّ الوحي الإلهي مصونٌ من كل شائبة تشوبه حتى لو كانت من قبيل الروحانيات الطاهرة والمتعالية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله في حين أنّكم تصرّون على عكس ذلك قال تعالى: (وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِبَادِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا) [النساء: 82]

دققوا في عبارة (غَيْرِ اللَّهِ) فلو كان القرآن ثمرة شجرة طيبة فإنّ الثمرة ستأثّر بالشجرة لامحالة وعندها ستخرج من حالة الصفاء ويمتزج الوحي الإلهي بصبغة بشرية.

وإذا كان الوحي الإلهي ثمرة الشجرة الطيبة للوجود المحمّدي وكانت لشخصيته حالة الفاعل والقابل فما معنى التأكيد على عدم الإستعجال في حفظ الوحي في قوله تعالى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّبِعَ جَلَّ بِهِ * إِنْ عَرَفْتُمْ مَا جَمَعَهُ * وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ نَافَهُ * فَاتَّبِعْ * قُرْآنَهُ * ثُمَّ * إِنْ عَرَفْتُمْ مَا جَمَعَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ نَافَهُ) [القيامة: 16-19] فإذا كانت المعاني من الله

النظر الى صورة الملك وأن يبلغ من الناحية الروحيّة مرتبة يشهد معها- رغم ارتباطه بعالم المادّة-
عالم الغيب دون خوف أو وجل ويتلقّى الوحي كاملاً دون أن يضيف عليه مقدار خردلة ويبلّغه الى أصحابه
فهل هذا المنصب الرفيع والحساس مشابه لمهمة اللاقطة؟